

القديس بقطر الشهيد

LES SAINTS D'EGYPTE من كتاب مترجم

par le R. P. Paul Cheneau d'Orléans

éruusalem

كان مارك أوريل الامبراطور الفيلسوف يصر على أن المسيحيين كانوا سيئاً لكل البلايا ، والفيضانات والاورشنة والمجاعات ، التي اجتاحت ايطاليا والامبراطورية ابان التسع عشرة سنة المضطربة التي ملك فيها . فان كان نهر النهر يفيض على روما ، فالمسيحيون في نظره هم السبب ؛ وان انحسرت مياه النيل عن حقول مصر ، فهم أيضا السبب .

وحدث في سنة ١٧٧ م أن نهر النيل لم يفيض على الاراضي ككل سنة . فسمعت في الاسكندرية صيحات الموت للمسيحيين ، واعلن الاضطهاد في كل الامبراطورية .

كان موطن القديس بفتز كياكيه . وكان ابواه مسيحيين ، فبني طفولته في تنموى والفضيلة . وانخرط في سلك الجندية منذ السفر وذهب الى الاسكندرية مع فرقته . وكان ظاهراً أكثر من غيره من المسيحيين ، ربما بسبب رتبته ، وفوق كل شيء بسبب استقلال طبيعه ونزاهة خلقه ، وممارسته لديناته جهاراً . ووشى الحاسدون به فكان ضحية الوالي المخدوع لتهدئة

الاله النيل والجموع الجامحة .

قال له الوالي بأدب : يا بفتز لقد تسليت أمراً امبراطورياً يدعو المسيحيين الى تقديم الذبائح للالهة الخالدة . ومن يرفض يهلك . فحرصاً على مصلحتك شخصياً بادر بالتقديم .

— إن ملك امبراطورنا الشهير غير مستخر وزائل ؛ وأنى قبل كل شيء جندى ليسوع المسيح الذي ليس ملكاً انفضاء .
— أن صفة الجندية تحتم عليك أكثر من غيرك الخضوع لقبصر ؛ واذن يلزمك أن تتمتع بالطاعة فتذبح للالهة باخلاص كامل ، ذلك احرمي بك من أى شخص آخر .

— أن كلماتك تمس في الاعماق . وليس هناك من يتحدم الامبراطور باخلاص أكثر منى ، على أنه اذا كان للامبراطور مطلق السلطان على جسدى ، فليس له من سلطان على روحى وهى لله وحده .

— أن تعليقاتك الدقيقة توحى بانك رجل حكيم .
— ربما كان ذلك ؛ ولكن هذه الحكمة ليست منى ، أن الله يوحى الى بها .

— يا بقطر ، لقد وضعت ذنابك في مركز حرج ؛ واني
أصر على انقاذك ؛ اذبح للالهة وسوف ينتهي كل شيء . . .
— مهنا طلبت افضله إلا ذلك الامر أشهد له بدمي . . .
— انك تفصح عن نفسك بطريقة عجيبة ؛ هل أنت
فاري . أم شماس حتى تتكلم هكذا بلباقة ؟
— الأسف لست أهلا لمثل هذه الرتب العالية ؛ ولكني
تحت سلطان نعمة الله ، فهي التي تضع هذه الكلمات على شفتي ،
هي التي تملأ من يقبلونها حكمة وحرصاً كما يليق . كما أن الحظ
المرروع جيداً يعطى ثماراً اذا كان الري كما يجب ، هكذا تكون
الارواح المستعدة استعداداً حسناً حينما نغمرها نعمة الله .
— أفضل اذن الموت على الحياة ؟
— نعم ، لأن العذابات التي سوف تحملها لن تحلب موتاً ،
بل الحياة الابدية . . .

فأراد الوالي ان يزعرع ثباته ، فأمر بكسر أسابعه حتى
خرجت العظام المكسورة من اللحم الممزق ؛ فلما انتهى من
ذلك ، صرخ بقطر في ثبات : « شكراً للرب يسوع على ما حباني

من نعمة . . .

قال سياستيان الوالي :

— « أطع حتى لا تتحمل عذابات جديدة . . .

— أقدم الذبائح لقطع من الخشب ، وكتل من الحجر ،
لن يكون هذا ابداً . اني حريص على تقديم عبادتي لله الحي
خالق السماء والارض . . .

فأودعوه في السجن ، وفي القيد وقف بقطر من جديد .
وأخذ الوالي يكرر أمره بتقديم الذبيحة بطرق شتى ؛ فكان
الرفض البات هو الجواب . عند ذلك ألقوه في أتون مشتعل
ليحترق تماماً . فركع الشهيد عند النار ، وصلى بصوت عال
هكذا قائلاً :

« يا إله آباءي ، اسمع لخفاطتي . مسكين يمد يده من أجل
عجبتك . هبني السلامة لجسدي ، وأحفظه من اللهب ، فيؤمن
هؤلاء القوم انك الاله الحقيقي . . .

ثم رشم ذاته بعلامة الصليب ، وسين ألقى في الاتون كان يرسل ترانيل مقدسة . وما برح الخدام يذنون النار ثلاثة أيام متتالية ؛ وبعد ذلك - وكان الوالى يظن أن ضحيته اصبت رماداً - أمر بفتح الاتون ليجمعوا العظام . فوجد الجنود المنوطون بالعمل زميلهم يرسل وسط الاتون وقد أحمر لونه من شدة النار . فافتادوه الى المحكمة . فلشد ما كان عجب الوالى لدى رؤيته القديس بفطر سليماً صحيحاً . لكنه كان يفسر ذلك بشيء واحد ، السحر .

- هـ فن لى ، هل لتعاويز فنك سلطان على فهر النار ؟ كيف استطاعت أن تحفظك من اللهب ؟

- هـ لست بساحر كما زعمت بل انى ببساطة مسيحي .

فأرسل الوالى فى طلب أحد السحرة وأمر باعداد سم يميت ، مرجه بالطعام ليقدموه للشهيد . فقال له القديس : هـ ما كنت لاجرؤ أن اتناول منه شيئاً ، ان لم تكن لى ثقة فى ربى يسوع المسيح ، ولكنى لكى أثبت أنه يستطيع أن يبطل كل تدبيرك ،

آكل منه بعد أن أصلى . ، وأكل من هذا الطعام . ولما رأى الساحر أن اللخوم المسمومة لم تؤذه ، ركب مزيجاً آخر أكثر فاعلية ، وقال للقديس كل الآن ، وان كانت هذه السموم النفاذه لا تعزرك ، فسوف أترك السحر واتؤمن بالمسيح الذى تعبده . .

فأخذ بفطر الاطعمة وأكلها كلها وما أصابه سوء . فلما رأى الساحر ذلك قال : هـ يا بفطر ، سلبت بدنأ ، انك غالب لنا ، وأنت أقوى منا . ، واحرق الساحر كل كتيبه التى تحوى من المعانى الشيطانية الكثير ، وترك فنه الردى . وأعلن توبته

واطلق سراح الشهيد مؤقناً وأرسلوه الى ليكوبوليس (اسبوط) ، حيث كان الوالى فى جولة تفنيسية .

قال الوالى : هـ هيا يا بفطر الشجاع ، قدم الذبائح للالهه الخالده وكن عاقلاً كعهدى بك فانك بهذا ارفض تعمل عملا جنوياً . .

• ما تسميه بالجنون قد أختاره الله ليخزي حكمة هذا العالم . .

فسأله أين قرأ هذا القول فاجابه في رسائل بولس . قال :

• أبولس الهسك ؟

• ليس بولس الهأ ، بل هو رسول . ، خلق الوالي من هذه الردود ، وأمر أن يقطعوا كل أعصاب مفاصله .

• إن هذا العذاب لا يخيفني بتاتاً ، ولا تسبب هذه العذابات أى ألم لى وكأنهم ينزعون شوكة من قدى . .

و طرحوه على آلة التعذيب وأحرقوا جانيه بمشاعل ملتهبة وهم يصرخون فى : • اذبح فهذا أمر الامبراطور . .

• استمروا فى تعذيبى أيها البؤساء ، ولا تظنوا انكم ترهبوننى باختراعاتكم المتكررة ، فإن ربى يسوع يمزىنى ، وأنى مستعد لأتحمل كل شىء . لاجل المباحث التى وعد بها خدامه . .

وكمذاب جديد من اختراعات مخيلته المريضة ، أعد

سباستيان نوعاً من الجير المغلى فى الحبل . وأمر برفعها على شفنى الشهيد ، وصرخ فى غيظ : • يجب أن تنتهى ، فإن مقاومتك ونجاح تعاويدك تفيظنى خريباً .

ازاء رفض القديس تقديم ذبيحة للالهة أمر الوالى ان يمسكوا فم القديس مفتوحاً حتى يصبوا فيه الجليط الفظيع ، ثم أمر بفقأ عينيه .

• انظن انك تغر عزمى بأعمالك البربرية ايها القامى ، فبفقد عيني جسدى تضاعفت حدة أنظار روى . أن مثل العذابات الوحشية التى عملتها حتى الآن لا أخشاها بتاتاً ، لأن قوة الله تعين ضعفى .

وأوقفوه بعمود ورأسه الى أسفل ، وأبقوه كذلك لمدة ثلاثة أيام حتى يخرج الدم من أنفه ومن فمه . وبعد انقضاء هذه المدة ، حضر الجنود فوجدوه حياً لم يصبه شىء من التعذيب .

وأمر الوالى بساخ لحمه فقال :

• نستطيعون أن نزعوا جلد جسدى وكسوة عظامى

لكنكم لا تستطيعون أن تسلبوا رداً روحياً ، ذلك الرداء
المذموم بالإيمان والمحبة .

وكان الشهيد قد استغرق في الثناء تعذيبهم هذا في صلاة
حارة :

أيها الرب يسوع هلم لعونتي ، لا تتركني ، لانقصني من أمام
وجهك .

اشكرك يسارب . اعن عبدك وأعطه مؤازره في هذا
التعذيب الوحشي . لا تسمح بأن يغلبني هذا الوالي القاسي الشرير
أنت تعرف يارب ، انه عن محبة لك أنألم هكذا كثيراً .

وعندما انتهى القديس بقطر من صلاته ، دوى صوت
شجاع وسط الصمت الرهيب ، فتحوط الانظار عن الجلادين
وكانت زوجة أحد الجنود تقول : طوباك يا بقطر ومطوب
هو الجهاد الذي تكلمه من أجل الله . ورأت ملاكين ينزلان
من السماء يحمل كل منهما أكليلاً عجيبياً ، الاغص منها له . قالت :
و بالرغم من سني وضعف جنسي لا أحشى تهديدات الوالي

وتعذيباته ، وسوف اشترك أيضاً في ملكوت المسيح .
وناداهما سباستيان وسألها عن اسمها ونسبها وزواجها
فقال أن اسمها كورونانا وعمرها ست عشرة سنة وتزوجت منذ
أربعة عشر شهراً . ثم طلب منها تقديم الذبايح للإله فقالت :
- أتصور أيها الوالي الشهور أني أرغب في فقد الاكليل
الابدی ؟

- ان هذا الجنون سوف يقنأك ابنتا الصغيرة المسكينة
الى ضياع كل حليك وثيابك الثينة وزينتك الفاخرة .
- ان افقد هذه الكنوز الفانية ، واتقدم بدونها نحو
المسيح يفرق بالخيرات التي لا تضيع .

فأمر الوالي بأن يقربوا جزعى نخلتين قريبتين في أرض
المحكمة . ففعلوا ذلك بعد جهد كبير ، ثم أوثق الجلادون في كل
منها أطراف الشهيدة البطللة . وعند الاشارة عادت النخلتان لجأة
الى وضعهما الاصلى ، ومع كل منهما نصف جسد الشهيدة معلقاً .
لقد تمرق جسد كورونانا الى قطعتين ونالت أكليل الشهادة .

وعندما سمع الخبر صاح القديس بفطر : يا أيها الرب يسوع
اشكرك اذ تلهم روحى العزاء العظيم ؛ امتحنى سريعاً هذه المعلية
وأقبل روحى فى سلامك الابدى .

ووضع الجلاد حداً للاعمال الوحشية مكلاً لرغبة الشهيد ،
و ضرب عنقه بسيف .

وقد آمن كثير من الحاضرين عندما نظروا هذه الاعجوبة .
ويذكر اسم القديس فى مجمع القسيحة ، بركة صلواته تكون
معنا آمين .



أودع بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٠٥ لسنة ١٩٧٢